الاعتياد على التضحية

ذات يومٍ جاء أحدُ المسؤولين الكبار إلى مولانا زائراً فقال له:

ـ أرجو أنْ ترشدني إلى طريقةٍ تجعلني لا أتألَّمُ عندما تخرج روحي من جسدي، وأنْ لا أعاني من سكرات الموت!

فأجابه مولانا:

ـ إنَّ ألمَ الاحتضارِ شديدٌ جداً، ولا يمكن لأحدٍ أنْ ينجوَ منه دون أنْ يبذلَ أيَّ جهدٍ في حياته، ويحتاج أنْ يبذلَ كثيراً ولسنواتٍ عديدةٍ في العبادة وأعمال الخير، وأنْ يعوِّدَ نفسَه على بذْلِ المال والنفس في سبيل الله.

وإذا اعتادَ على التضحية بنفسِهِ ومالِهِ، ومشى في طريقِ الخير، فعندما يأتي مَلَكُ الموت لينتزعَ روحَه من الجسدِ لنْ يشعرَ بأيِّ ألمٍ، وبكلِّ سهولةٍ ويسرٍ سيعطيها لأنَّه سيعيدُ

الأمانةَ لله ربِّ العالمين، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾.

فالمؤمنُ الذي عوَّدَ نفسَهُ على البذل والعطاء بالغالي والرخيص في سبيل الله؛ سيعطي روحَهُ ولنْ يشعرَ بألم، وسيعطيها بسهولةٍ دون ذرَّةِ ألم.

الذين يشعرون بالألم عند تسليم الروح، هم الذين لم يتعوَّدُوا العطاءَ والتضحية بالنفس والمال في سبيل الله، وهؤلاء سيكون ألمهم ومشقَّتهم شديداً عند النَّزْع.

إنَّ وظيفةَ المؤمن في هذه الدنيا هي التضحية وبذْلُ النفس في سبيل الله، وأنْ يعطي من مال الله الذي أعطاه الله إياه، من القوة، ومن الصحة، ومن العلم.. التي هي من عطاياه ﷻ.

وفي الحقيقة.. يظهر حبُّ الإنسانُ الشديدُ لنفسِهِ أو مالِهِ من مسألة التضحية والكرم والعطاء، وكلُّنا يعلم أنَّ الله ليس بحاجةٍ لتضحياتِنَا أو لكرمِنَا، ولكن المهمَّ هو مفهوم البذْل عند الإنسان.

وهنا يجب على الإنسان أنْ يتعلَّمَ منذ البداية معنى

البذل والتضحية، وأنْ يتنافسَ مع المؤمنين ليس على الدنيا إنَّما على فعل الخير.

ويجب على المؤمن أنْ لا يتعلَّقَ بالحياة الدنيا ومتاعِهَا، لأنَّ كلَّ هذه الأشياء لم تكنْ معنا عندما أتينا إلى الحياة الدنيا، ولنْ تذهبَ معنا، والإنسان الذَّكيُّ هو الذي يفقَهُ جيداً هذه المسألة، وهنا ينطلق في مسيرته الدنيوية، وسهولةِ تخلِّي الإنسانِ المؤمنِ عن روحِهِ في ساعاتِ الاحتضار.

فهو قد تعوَّدَ على التخلِّي عن كلِّ شيءٍ في هذه الدنيا، وأنَّ هذه الدنيا لم تكنْ سوى محطةٍ يتزوَّدُ منها الإنسان للحياة الحقيقية وهي الآخرة.. وهي بُشرَى المؤمن.